الفصل السابع والعشرون

المدارس فى مدينة القاهرة

منذ فتح مصر فى عهد خلافة عمر ـ رضى الله عنه ـ إلى الفتح العثمانى لها حكم مصر من الأمويين والإخشيديين والفاطميين والأكراد والتركمان والشراكسة حتى العثمانيين سبع عشرة دولة. ملوكها ثلاثمائة وأربعون. وقد بنى كل منهم مدرسة. وكان لهؤلاء مئات الوزراء والوكلاء وكبار الأعيان الذين عمروا القاهرة، وكان فى القاهرة ثلاث آلاف وستمائة مدرسة. إلا أن أوقافها تخربت على مر الأيام فتخربت هذه المدارس ولم يبق منها إلا جوامع السلطان حسن والسلطان قلاوون والسلطان الصالح والسلطان برقوق والسلطان فرج والسلطان قايتباى والسلطان جيقمق والسلطان إينال والسلطان الأشرف والسلطان سيف الدين والسلطان ايَبك التركمانى، والحاصل أنَّ كل ما فى مدينة القاهرة من جوامع السلاطين وأبناء السلاطين وكل من هذه الجوامع به مدرسة عامرة. وكان لها منائر هى الأخرى من شاهدها ظنها جوامع إلا أنها ليست جوامع. إنها جميعًا مدارس.

وبالقرب من باب الخَرْق «مدرسة اسكندر باشا» وحجراتها على الطراز الروحى. وفى حرمها حوض وشادروان جارٍ. وتلقى فى هذه المدرسة الدروس العامة. ومدرسة الداودية ومدرسة السلطان صِرغِتمِش ولها منارة كمنارة الجامع من ثلاث طبقات، ولها ناظر وحجرات كثيرة. وفى حرمها حوض عظيم ولها محراب. وبالقرب من جامع الشيخ مرزوق مدرسة القرافية وهى مدرسة قديمة علوية. ومدرسة سليمان باشا وتقع فى السراج خانه وجميع حجراتها على الطراز التركى. ولها قبة من حجر. وفى حرمها ميضأة عظيمة. إنها مدرسة معمورة مزينة وقد بناها سليمان باشا الطواشى صاحب الجامع الكائن بالشيخ سارية بالقلعة الداخلية. وناظر هذه المدرسة من رؤساء الانكشارية.

و«المدرسة الباسطية» وهى تتألف من ثلاث مدارس ملكية. وهناك المدرسة القيسونية فى الطريق إلى عمر بن الفارض. إنها مدرسة عظيمة البناء. لها منارة من ثلاث

طبقات ومن شاهدها ظنـها جامعًا عظيمًا. وقد كتب على جانب بـابها قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]، وتحت هذه الآية تاريخ هو: (سنة أربعين وسبعمائة من الهجرة النبوية).

ومدرسة الحسابية وهـى مدرسة معمورة. ومدرسة الملك الكامل فـى مدينة القاهرة، وقد بنيت هذه المدرسة فى أول الأمر على أنها دار للحديث. ومدرسة الملك الكامل فى الإمام الشافعى. وأمام بـاب ضريح الإمام الشافعى كذلك حوض شافعـى وسبيل عظيم يستـمد ماء النيـل عن طريق قنـطرة مياه من بركـة الحبش عند قـرية البساتـين. والملك الأفضل هو صاحب هذا الخير العظيم. كما له فى مدينة دمياط خيرات لا تحصى. وبعد أن انتهت دولته خلفه ابنه الملك العادل عام ٦٣٥.

ومدرسة السلـطان صلاح الدين التى بنـاها عام ٥٧٥ بالقرب من الإمام الـشافعى. وبنى كذلك القلعة الداخلية للقاهرة عام ٥٧٦.

* * *